وعي المرأة والوعي بها في رواية "خارج الحريم" لأمين الريحاني

الباحثة/ هوانغ يو فانغ

الملخص باللغة العربية:

جاء هذا البحث تحت عنوان وعي المرأة والوعي بها في رواية "خارج الحريم" لأمين الريحاني، ويستخدم هذا البحث من معطيات المنهج النقد الثقافي. ويعود اختيار هذا الموضوع إلى أن أمين الريحاني يُعتبر واحدًا من أبرز الشخصيات الأدبية في العصر الحديث، كان من رواد الأدب المهجري، تتمتع المرأة بنصيب وافر من فكرة الريحاني، فهو رائد في حركة تحرير المرأة العربية.

وقد أثمرت هذه الدراسة العديد من النتائج، من أبرزها هو الكشف عن أفكار أمين الريحاني في تحرير المرأة وحريتها. واستكشاف القيمة الإيجابية لأعماله في دفع تقدم العصر، وتظل أفكار أمين الريحاني وفلسفته التنويرية حاضرة حتى اليوم، وقادرة على المساهمة والإبداع في الأوساط العربية والدولية على حد سواء. تقدم أفكار الريحاني وأهميته وقيمته في تعزيز التقدم للأمة العربية بل للعالم أجمع. كما وجدت أن الرواية تتمتع بمميزات كبيرة في الترتيب الفني في صورة الشخصية. فإن دراسة رواية "خارج الحريم" تتمتع بالقيمة العالية فكريا واجتماعيا وأدبيا.

Abstract

This research is titled "The consciousness of woman and the consciousness to woman in Ameen Rihani's Novel 'Outside the ',Harem (Juhan) and it employs cultural criticism methodology. The choice of this topic stems from the fact that Ameen Rihani is considered one of the prominent literary figures of the modern era and a pioneer of émigré literature. His ideas have significantly contributed to the concept of women's liberation, making him a leading figure in the movement for the .liberation of Arab women

Based on the above, Rihani's novel "Outside the Harem" was chosen as an applied model to study his ideas on women's

liberation. In this novel, Rihani portrays a woman striving for independence and freedom. The narrative revolves around the theme of war and the pivotal role of women in difficult circumstances. The protagonist, Jihan, works hard to break the chains of the harem" and the constraints of traditional thought, " ".becoming a "leader of the movement for harem liberation

I concluded the study with a summary of the key findings, followed by a list of the main sources and references I relied .upon

المقدمة:

أمين الريحاني هو كاتب لبناني بارز، سياسي، مفكر، ناقد، فيلسوف، مؤرخ، وشاعر. يُعد من رواد الأدب الرومانسي، وهو أول من كتب الشعر العربي بالأسلوب الحر، ويُعتبر أحد "الثلاثة الكبار "في الأدب العربي الأمريكي إلى جانب جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة. كان الريحاني أول كاتب عربي يستخدم اللغة الإنجليزية في مؤلفاته، ويُطلق عليه لقب "أب الأدب العربي الأمريكي ."في العالم العربي كان يُعتبر مثقفا ملهما، وناشطا اجتماعيا، وعالما موسوعيا.

طوال حياته، سعى أمين الريحاني لتحرير الإنسان من قيود الجهل والفقر والخوف، ولتخفيف آلام البشرية، وإزالة الأوهام والأضاليل في العقائد والتعاليم السياسية والاجتماعية والدينية . اعتمد في ذلك على الفكر الحر ...البحث الحر...والقول الحر المجرد من كل تحزب وتصعب وأهواء شخصية . كان شعاره "قل كلمتك وامش"...وحلمه ميلاد أمة عربية جديدة في علمها وفكرها وسلوكها ...(١) يعد الريحاني الأب المؤسس لما يُسمّى بالأدب العربي الأمريكي والأدب المهجري.

دعا أمين الريحاني إلى التحرر الوطني وركز على المستقبل في كتاباته. نقلت أفكاره روح الديمقراطية، الحرية، والتسامح، مما يعكس حاجة المجتمع إلى التعايش السلمي. كانت أعماله تنويرية في العالم العربي، تحمل دعوات للإصلاح والسلام، وتعبر عن قيم إنسانية سامية. لذا، يمكن القول إن عالم أمين الريحاني كان عالماً متنوعاً ومفتوحاً على الجميع، مما يجعل أمين الريحاني ليس فقط كاتباً إصلاحياً لبنانياً، بل أيضاً كاتباً عالمياً.

كان أمين الريحاني من أوائل الداعين إلى حقوق النساء العربيات، حيث دعا الى نهضة النساء ، وتجاوز العقبات الفكرية ، والتحرر من قيود الفكر التقليدي، بل وحتى الحصول على حقوق التعليم من خلال الهجرة. كان يؤمن بأن تحرير النساء يلعب دورًا أساسياً في تطور المجتمع العربي الذي هيمن عليه الذكور

لفترة طويلة.

في رواية "خارج الحريم"، يصور الريحاني شخصية امرأة تسعى إلى الاستقلال والتحرر. إن البطلة، جيهان هي "سيدة تركية من الحريم"، نشأت في ظل قيود مجتمعية متعددة، تقرر كسر "أغلال الحريم" والتخلص من هذه القيود، لتصبح "قائدة حركة تحرير الحريم"، نلاحظ أن هذا الوصف يعكس امل الريحاني في أن تحصل النساء على نصيب متساوٍ في هذا العصر الحديث، ويطمح إلى إزالة المفاهيم التي تمنح الذكور السيطرة على النساء. حيث يرى أنه ينبغي على النساء النهوض بالاحتجاج، وتجاوز العقبات، والتحرر من قيود الأفكار التقليدية، والسعي نحو تحقيق التحرر الفكري وإثبات قيمتهن الذاتية.تظل أفكار أمين الريحاني وفلسفته التنويرية حاضرة حتى اليوم، وقادرة على الإسهام في الإبداع في الأوساط العربية والدولية على حد سواء.

الدراسات السابقة :

١- Francesco Medici, Juhan's Jihad and the Blond Beast -Ameen Rihani between Islamic Doctrine and Nietzschean Perspective, Bibliography on Rihani between Islam & Nietzsche; Axes in the Philosophy of AMEEN AL RIHANI-NOTRE DAME .UNIVERSITY, Lebanon, ٢٠١٧

تتناول هذه الدراسة بشكل أساسي رواية "جيهان" لأمين الريحاني، حيث تسلط الضوء على كيفية تأثر الريحاني بفلسفة نيتشه، وكيف قام بمواءمة أفكار نيتشه الفلسفية مع مفاهيم الإسلام. تسعى الدراسة إلى تحليل التداخل بين فلسفة التحرر الفردي لدى نيتشه وفهم الريحاني للإسلام، وكيف انعكست هذه الرؤية في شخصية البطلة جيهان ورحلتها نحو التحرر والاستقلال.

٢ - S. Karam , Ameen Rihani's Visionary Support for Women a Century Ago. International Journal of Social Science and .Humanity, Vol. ٣, No. ٥, September ٢٠١٣

تستعرض هذه الدراسة كيف يعمل أمين الريحاني كمدافع عن حقوق المرأة، حيث يبرز صوتها ويُركّز على قضاياها المختلفة، مما يساهم في زيادة الوعي بحقوقها التعليمية والاقتصادية والاجتماعية. وأخيرًا، توضح الدراسة كيف قدّم الريحاني، بصفته مصلحًا اجتماعيًا لا يمكن إنكار تأثيره، اقتراحات واقعية تمكّن النساء من تحقيق التحرر.

٣- رضوان حسين، الفن الروائي لدى أمين الريحاني (دراسة فنية) بحث قدم لنيل درجة ماجستير الفلسفة في اللغة العربية وآدابها – كلية اللغات ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آآباد، العام الدراسي:٢٠١٨ م – ٢٠٢٢ م

تتناول هذه الدراسة أدب المهجر وحياة أمين الريحاني وأعماله وإسهاماته الأدبية، تم عرض روايات أمين الريحاني، وكذلك تتناول دراسة فنية لروايات أمين الريحاني تشمل دراسة موضوعية ودراسة فنية لرواياته.

٤- كارول الخوري، أمين الريحاني: المفكّر والناقد والثائر، مؤسسة تكوين الفكر العربي، فبراير ١٤، ٢٠٢٤م

تتناول هذه الدراسة حياة أمين الريحاني، مع التركيز على صدقه واستقامته وفكره السياسي والاجتماعي. كما تستعرض مفهوم "المدينة العظمى" في تصور الريحاني، حيث يظهر كيف بنى فكرًا متكاملاً، داعيًا، إلى إقامة مجتمع نموذجي متميز يجمع بين الواقعية والمثالية.حيث يجسد هذا المجتمع توازنًا بين الحقيقة والأحلام التي لم تمت برحيل أصحابها.

منهج الدراسة :

ستستفيد هذه الدراسة من معطيات منهج النقد الثقافي.

أهداف الدراسة:

تتضح أهداف هذه الدراسة من خلال العرض السابق، وهي تتركز في النقاط التالية:

- **تحليل صورة المرأة:** توضيح وتحليل صورة المرأة ووعيها الذاتي والوعي بها في رواية "خارج الحريم" لأمين الريحاني.
- **تحرير المرأة:** الكشف عن أفكار أمين الريحاني المتعلقة بتحرير المرأة ومنحها حقوقها وتعليمها. بالإضافة إلى واستكشاف القيمة الإيجابية لأعماله في دفع عجلة التقدم في العصر الحديث.
- **تقدم أفكار الريحاني المتطورة:** استكشاف أهمية أفكار الريحاني وقيمتها في تعزيز التقدم للأمة العربية وانعكاسها على العالم بأسره.

الفصل الأول : التعريف برواية "خارج الحريم"

تعد رواية "خارج الحريم" من الروايات الرائدة التي كتبها أمين الريحاني باللغة الإنجليزية تحت عنوان "Juhan" خلال الحرب العالمية الأولى، وتحديدًا خلال حملة غاليبولي (١٩١٥-١٩١٦م) في زمن التحالف العثماني-الألماني. نُشرت الرواية لأول مرة في ترجمتها العربية على يد الكاتب عبد المسيح الحداد، الذي اختار لها العنوان البديل "خارج الحريم".

جيهان، بطلة الرواية، هي امرأة تركية مثقفة من علية القوم، ابنة باشا، تتقن اللغة الألمانية، وقرأت كتاب "هكذا قال زارا توسترا " للفيلسوف نيتشه وترجمته إلى التركية. جمعت بين تقاليد الشرق وحضارة الغرب، وكانت تطمح إلى التحرر من دائرة الحريم والقيود التي فرضت عليها. هجرت قصر زوجها على ضفاف البوسفور بعد أن خالف وعده لها بعدم الزواج من امرأة أخرى. عادت جيهان إلى بيت أبيها رضا باشا لتبدأ في نضالها من أجل نصرة المرأة المسلمة.

جيهان كانت تطمح إلى الحرية والتحرر من طغيان المجتمع الذكوري. لقد لقبت نفسها "ابنة الثورة"، وقالت لأبيها دون اكتراث عندما تحدث معها عن طلاقها من ابن عمها شكري بك: "إني متزوجة من الحرية".(٢) مع مرور الوقت، تعرفت جيهان على الجنرال فون والنستين المقيم في الأستانة، وكان لطموحها في القيادة والسيادة تأثير كبير في علاقتها به. كانت جيهان تسعى إلى تحقيق حريتها في اختيار زوجها وإلى تحقيق السيادة من خلال الحرية، قائلة: " كلا، لا تضحية لا انتقاما، بل سعيا في سبيل سعادتي، وطاعة الأوامر حلمي بالحرية، حرية الانتخاب إذا أحببت أكون أمّا، حريتي في والد ولدي ولا فرق إذ جاءتني بفتى أو بفتاة، فالفتاة تستطيع أن تتحداني في تحرير المرأة التركية وتكمل عملي، والفتى ـــبعون الله ـــينشأ بطلا ؛ فيكون جنديا وطنيا نافعا، منقذا أمتنا، مرمما دولتنا المتداعية؛"(٣)

رغم هذا الطموح، واجهت جيهان معاملة غير إنسانية من والدها، فقد مُنعت من أمور عديدة، من بينها الخروج والتحدث بحرية أو نشر مقالاتهاوان لا تتدخل في السياسة. كما مُنعت من مقابلة الجنرال فون والنستين ومراسلته. لكنها تمردت على هذه القيود قائلة: " كلا، إننا لن نخضع منذ اليوم لطغيان الرجل وجبروته، ولا فرق إن كان زوجا أو أخا أو أبا، أو صاحب تاج وصولجان".(٤)

ثم تتوالى الأحداث المأساوية في الرواية: حيث يُقتل أخوها مجيد بك في الحرب بعد معارضة للأوامر العسكرية، ويُعدم شكري بك ابن عمها بسبب محاولته المتعمدة لقتل الجنرال لأسباب سياسية. يُعتقل والدها بتهمة الخيانة.. فتثور ثائرة جيهان على الجنرال، الذي خذلها، مع أنه فاتحها في أمر الزواج منها. ورغم أنها رفضت الزواج منه في البداية، إلا أنها تستسلم اليه لكي ينقذ والدها ولكنه يتأخر عن إنقاذه، فينتحر أبوها في السجن، وتنتقم جيهان لأبيها؛ حيث تضع المخدر للجنرال الألماني، وأمسكت بالسيف، وصرخت :"باسم الله، إمّا تضحية وإمّا انتقاما"، ثم تقتله.

أشاد الأديب العراقي علي الشوك أشاد بالرواية ؛ قائلاً: "هذه قصة بطولية، كتبت ببراعة تامة، وبأسلوب مشوق. ولا عيب فيها سوى لغتها البلاغية التي تبدو ثقيلة على السرد الروائي.. وأنا لا أدري إذا كانت هذه الرواية الطليعية قد لاقت حقها من الاهتمام، عند مؤرخي الأدب في عالمنا العربي وأراها جديرة بأن يُنفض عنها الغبار ويُرد اليها الاعتبار كعمل روائي عربي طليعي، قد يتقدم على أعمال

أخرى، حظيت باهتمام النقاد. تحية إعجاب ب"أمين الريحاني"، الكاتب اللبناني التقدمي، الذي تألق في هذا العمل".(٥)

الفصل الثاني – وعي المرأة والوعي بها في رواية "خارج الحريم"

المبحث الأول – وعي المرأة في رواية "خارج الحريم"

١ – مساعي جيهان إلى الحرية وكسر قيود الحريم

ولدت جيهان وأخوها مجيد بك في باريس؛ حيث كان رضا باشا ملحقا عسكريا في السفارة العثمانية. وقد ولد كلاهما من سليمة أحب نساء الباشا إلى قلبه، وكانت كردية حسناء وذكية، وتحسن الفرنسية إلى جانب التركية، و كان زوجها يسمح لها باستقبال الزائرين سافرة. وقد تلقت جيهان تهذيبها من مربية ألمانية ومعلمة فرنسية، ولم يدخر أبوها عناء ولا ضنّ بمال في سبيل تهذيب جيهان وتربيتها، حسب الطراز الأوروبي العصري.

ما كتب الريحاني في بداية الرواية:"وجهان ابنة رضا باشا، وامرأة الأمير سيف الدين، إنما هي مسلمة، في لبها الإسلام الحقيقي، رغم أنها هجرت منذ ثلاثة أشهر قصر زوجها المشيد على ضفاف البوسفور؛ لأنه حنث بيمينه أنه لن يتخذ لنفسه امرأة أخرى، ولا يقاسم قلبه غيرها، ولهذا عادت جيهان إلى بيت أبيها بما في قلبها من الغم، وبما في روحها من الأحلام، آلت على نفسها إصلاح الحريم."(٦)

من خلفيتها العائلية والبيئة التي نشأت فيها، يمكننا أن نرى أن جيهان كانت تنتمي إلى عائلة من الطبقة العليا(الارستقراطية)، وتلقت تعليمًا جيدًا منذ صغرها. كانت والدتها امرأة مثقفة وناضجة الشخصية وكان لها حرية استقبال الزوار. ومن المؤكد أن لديها تأثيرا كثيرا على نمو جيهان، فإنها امرأة مسلمة علمانية وفتحاء في الفكر والمعرفة، تسعى للاستقلال والحرية.

كتب أمين الريحاني في الرواية: "ومنذ ذاك الحين، شرعت تسعى سنة كاملة، سعيا متواصلا أثمر قليلا، وأكسبها شهرة، جنت أكثر من مرة عليها، قد دعت جيهان نفسها "ابنة الثورة"، كانت إذا حدثها أبوها في أمر تسيبها شكري بك تبسم غير مبالية، وتقول : إني متزوجة من الحرية."(٧) يُكتب هذا المقطع في بداية الرواية، كي يكشف للقارئ صورة البطلة الرئيسة وسمات شخصيتها:التي تسعى للحرية والاستقلال، ولديها وعي قوي للمرأة.

كان يوم جيهان كثير الأعمال. صباحا في المستشفى، وبعد الظهر، تلقي محاضرة في إحدى مدارس البنات. وفي المساء تبيع الأزهار في سوق خيرية في منطقة "جنائن تقسيم". كان عليها-كذلك- أن تكتب مقالاً في الجهاد لجريدة "طنين".. هذا فضلاً عن عملها اليومي في ترجمة كتاب "نيتشي" »هكذا قال زاراتوسترا «إلى اللغة التركية.

"كانت جيهان سليمة الطوية، مخلصة فيما تقول وتفعل، وكانت فوق ذلك ذات حنكة عجيبة، كثيرة المعرفة بأساليب الاجتماع والسياسة".(٨).

جيهان، كما وصفها الريحاني، كالشمس المشعة على قباب إسطنبول، وعيناها مثل زرقة السماء، وجدائل شعرها المسترسل على كتفيها العاريتين من ذهب الشفق. وشبهها أيضاً بربة من ربات الإغريق. "ولكن جيهان كسرت سلاسل الحريم، وكانت آنئذ أقل اهتماما بجمالها الرائع من مواهبها العقلية، فقد ملأت كيانها تلك الأمنية، التي عقدت النية على إحرازها لنفسها وأمهاتها، وهي أمنية تجلت لها كوحي إلهي، تجلت لها في هذا الفجر المنبثق نورا، فصعدت بفكرها إلى قمم الروح وآمالها، وهي تشعر أن الشمس لم توقظها في يوم من الأيام كما أيقظتها في ذلك اليوم."(٩)

لقد كان بإمكاننا أن نرى أن جيهان تتمتع بآمال عالية ومساع سامية. ولكنها كانت سجينة في غرفتها؛ حيث كانت تتعرض لمعاملة غير إنسانية من والدها. واستشاطت جيهان غضباً حين وجدت نفسها حبيسة غرفتها؛ ذلك لأنها كانت أول سيدة تركية مشت في شوارع الأستانة سافرة، وأول سيدة وقفت في ساحة عمومية تمزق حجابها. "فسألت نفسها: ولم يا ترى يعاملني أبي بمثل هذه المعاملة؟" (١٠)

دعنا نلقي نظرة على اتهام الكاتب لوالد الفتاة بسبب سلوكه تجاه ابنته: "يا للعار !أيعاملها أبوها كتلميذة مدرسة وهي السيدة التي ينظر إليها نساء الأستانة بعين الإكرام الاجللا؟ أ يذلها هذا الإذلال وهي زعيمة بنات جنسها، ترفع أمامهن مشعل نور جديد، وتعمل على تحطيم قيود الحريم؟ يا للفظاعة !أ جيهان صديقة النواب الوزراء، مدبجة المقالات السياسية، ربة المنبر منبر الحرية، صاحبة الرأي الذي طالما أنار قوما، وأحرق آخرين، نصيرة مبدأ أحدث ثورة في العقول، وحمل الرجال والنساء على العمل في سبيل الحق والحرية، أ جيهان تسجن في حجرتها؟ إنه لعار أي عار !أو لم تكن هي أول سيدة تركية مشت في شوارع الأستانة سافرة الوجه؟ أو لم تكن هي أول سيدة تركية، وقفت أمام الساحات الكبرى، فمزقت قناعها الأبيض الحاجب وجهها، الحاجب نفسها، وحيت الشمس شمس الحرية؟ والآن هي أسيرة حجرتها الخاصة بأمرٍ من أبيها، فقد شق عليها هذا الأمر، فرمت نفسها على الديوان وكبرياؤها وإباؤها يستحيلان دموعا سخية." (١١)

إلا أن جيهان كانت تطمح إلى الحرية، والتحرر من طغيان الرجل في مجتمع ذكوري. كانت تريد أن تنال حريتها : وحياتها التي عاشت لها، ومن أجلها ضحت بكل شيء. كما قالت: "كلا، إننا لن نخضع منذ اليوم لطغيان الرجل وجبره. ولا فرق إن كان زوجاً أو أخاً أو أباً، أو صاحب تاج وصولجان".(١٢) ونرى هنا أيضا أن أمين الريحاني كان يريد أن يكتب عن امرأة ذات طموح عال.

إن جيهان تعشق الحريّة، وتشن حربا مقدّسة على كفر الرجل وطغيانه، كانت أقصى أمانيها أن تحصل على حريتها، و تخرج من دائرة الحريم؛ لذا سعت وراء ذلك، ولم يكن يدور بخلدها- مطلقا- أن هذا الأمر سوف يكلفها أغلى ما فى حياتها؛ اذ ضحت بشرفها وخطيبها ولم تبال؛ فكانت الحرية بالنسبة لها أغلى من كل تضحياتها. كما كتب قبيلات و نزار مسند: "لقد مثلت رواية "خارج الحريم" لأمين الريحاني نموذج المرأة، التي تضطلع بدور فاعل تتحدى به قيود المجتمع وأغلاله."(١٣)

٢-**صفات شخصية جيهان:** امرأة لطيفة وشجاعة وذكية ولديها شعور قوي بالمسؤلية الوطنية

إن جيهان شخصية لطيفة وكما كتب الكاتب في الرواية: "كانت جيهان أحب المؤاسيات الممرضات للجرحى في المستشفى، وأقربهن إلى قلوبهم من الألمانيات كن أو عثمانيات، مسيحيات أو مسلمات، بل كانت سلطانة يحلونها، إلهة يعبدونها، وكان ذلك اليوم الذي لا يرون فيه وجهها يوم وحشة مظلمة، بل يوم شؤم عظيم، كما قال أحدهم: فلئن أشرقت مائة شمس في كبد السماء، لم يكن لهم غير جيهان شمسا ساطعة غلوية، هي رأس التفاؤل في أعينهم، هي البلسم الشافي لجروحهم، هي معبودتهم بعد الله والنبي". (١٤)

كانت لدى جيهان روح شجاعة ومسؤولية قوية تجاه الأمة؛ إذ إنه عندما طلب أبوها رضا باشا منها أن تعود معه برفقة شكري بك إلى قونية، قالت لشكرى بك : "ولكني لا أقدر أن أذهب إلى قونية؛ لأن أمامي أعمالا عديدة في الأستانة، نحن الآن في أشد وأعظم أزمة في تاريخنا؛ ولذا أرغب بالبقاء في وسط العاصفة حتى النهاية، لن أفارق أخواتي الطامحات إلى الحرية، لا والله ولا أترك إخواني الجرحى في المستشفى، إن للأمة وللحكومة عليَ حقوقا، وعليك أيضا يا شكري، فإننا لم نزل أحدث سنا من أن نعتزل في آسيا الصغرى، وندفن أنفسنا في مجاهل الأناضول."(١٥).

"وعلى المرء أن يكون في الأزمات الأهلية في طليعة الوطنيين"..."وكل ما أستطيع أن أقوله. هو أنني أشعر بوجوب ذهابك إلى ساحة القتال، لتذود عن بلادك"(١٦) ، ومن ثم، يمكننا أن نرى ان لديها روح الشجاعة وحب الأمة والدفاع عن الوطن.

تتمتع جيهان بحكمة وذكاء كبيرين ، كما يظهر من كلامها لشكري بك: "يا عزيزي شكري، كل شيء يتغير في هذه الأيام، ولا يستطيع أي كان في زمن الحرب هذه أن يثبت على رأي، من يوم إلى آخر، بل كلنا ضحايا تلك القوة الضاغطة الشريرة، تلك القوة العلوية أو السفلية، التي تجسم فيها الشر والخير، والتي أدعوها 'إلهة التلون'."(١٧)

إن جيهان امرأة هادئة وعاقلة وحكيمة، ففي ظل الأمور المعقدة والمتشابكة التي تحيط بها، تدرك ما يجب عليها الالتزام به؛ رغم التغيرات التي تطرأ على الحياة، فهي دائمًا قادرة على البقاء مخلصة لقلبها وأهدافها، كما كتب الريحاني معبرا عن لذك: "ومع ذلك فهي لا تجازف بيومها أن يذهب ضحية الهواجس، ولا تحب أن تضيعه في المجادلات العقيمة، كما أضاعت أيامها الماضية، لا ولن تقضيه في الحزن والكآبة؛ ولهذا قد لامت نفسها، إذ سمحت لأمورها الخاصة بأن تشغلها عن العمل الكبير العمومي، الذي تقدسه...فهذه كلها أمور ثانوية لا ينبغي أن تصرفها عن مساعيها الخيرية والعمومية؛ ولهذا عليها إذا أن تسكن روعها، وتستجمع قواها ومعقولها لتنظر فيما يتطلب منها اليوم من الأعمال. "(١٨).

يصف الريحاني شخصية جيهان قائلا: "فإن جيهان لم تكن مجردة تماما من تلك الخلة؛ خلة المداراة التي تميز أية امرأة تركية، دونها أدبا وتهذيبا وحكمة، فضلا عن أنها كانت ماهرة بارعة في التوفيق بين سخافات الأمور، والمهم منها والجوهري، فهي مولودة في مهد السياسة، ولا نعني بذلك أنها كانت ترغب دائما في التسليم والإذعان، أو أن التساهل كان دينها، كما يقول الأتراك، ففي موضوع واحد على الأقل تتفرع منه موضوعات عديدة، مثل حرية المرأة، وانعتاق الحريم، والاكتفاء بزوجة واحدة، والجهاد على استبداد الزوج التركي، وولوعه بالتنوع والتعدد من النساء...إلخ؛ ففي هذه الأمور كانت جيهان ثابتة العقيدة، لا يزعزعها فيها حال أو زمان أو سلطان، ولا تعرف فيها المدارات ولا المراوغة ولا التساهل. "(١٩)

بعد أن ألقي القبض على رضا باشا؛ لأنه اتهم بارتكاب جريمة الخيانة، اتخذت جيهان سلسلة من التدابير وبذلت قصارى جهدها لإنقاذ والدها.. ذهبت باكرا صباح اليوم التالي لتقابل وزير الحربية في منزله، ثم ذهبت إلى الباب العالي لاستعطاف وزير الداخلية، كما كتبت رسالة إلى جلالة السلطان رسالة تلتمس به عفوه وسماحه بعقد اجتماع خاص بينها وبين حضرته السلطانية، وذهبت أيضًا إلى يلدبز ولكن اجتماعها بالسلطان لم يحدث....

عندما سمعت جيهان من الخصي سليم، كلام الناس عنها، راحت تتأمل في نفسها قائلة، كما ورد بالرواية : " لعل هذي هي الروح الإسلامية، التي رغبت في أن تلجأ إليها مستغيثة، أو هذا هو الشعب

الذي تطلب معونته باسم العدالة والحرية؟ لا.لا.لا. إنهم لا يفهمونها، ولن يحسنوا فهمها، فإن بينها وبينهم لهوة تزداد عمقا، وظلاما يسود يوما فيوما. " (٢٠)

أخيرا، جاءت جيهان لتقابل الجنرال فون والنستين، وتطلب منه أن يسامح شكري بك، ويساعد والدها، ولكن عندما يطلب منها الجنرال أن تقبل به زوجا، ترفض، قائلة: "ذلك مستحيل...لا أقدر أن أقترن بمسيحي...إني أشعر بما أعتقد، وإني متيقنة أن الأمراء العثمانية لن تكون سعيدة إذا اقترنت بأوروبي."(٢١)

"تزوجت مرة، ولا أستطيع أن أتزوج مرة ثانية، أنا متزوجة من الحرية..."(٢٢)، متزوجة من الحرية، هذه الجملة نطقت بها جيهان من فمها، مرارًا وتكرارًا، تعبر عن عزمها الثابت على السعي وراء الحرية والإيمان الذاتي. أما عندما تسمع كلام الجنرال، الذي يعرض عليها في صفاقة أنها تكون خليلته، فقالت له: "عقيدتي بالزوج أسمى مما تظن يا حضرة الجنرال...أخالك تسألني هذا لقاء إنقاذك أبي من الموت، يا حضرة الجنرال فون والنستين إن في ابتغائك أن أضحى شرفي من أجلك، أظهرت بأنك لست بشريف النفس والأخلاق."(٢٣)

"وخلت جيهان بنفسها مؤنبة ذاتها نادمة على تسرعها وخشونتها مع الجنرال، فقد كان أولى بها التريث، وألا تفقد رشدها في مجالسته، فإن حياة أبيها يجب أن تنقذ مهما كان الثمن، ولكن ما عسى أن يكون عندها هذا الثمن؟ تأملت بهذا الأمر مليا، وقد عادت إلى مخيلتها رؤيا أمهات عنصرها راسفات في السلاسل والقيود، فاستسلمت إلى حلمها في الحرية، التي هي أولى أمانيها وآخرها، الحرية في

انتخاب زوج لنفسها قرين لا يحنث بيمين أقسم به على نفسه، ألا يتخذ زوجة سواها، وإذا عز عليها ذلك، فلتكن لها حرية الانتخاب في الأقل انتخاب أب لوليدها. وبمثل هذه الجرأة وهذا الإقدام، ستكون جيهان مثالا شريفا لنساء عنصرها، وتجمل عملها هذا من أشرف مبادئ حريتها." (٢٤)

"ولكنها تأملت مفكرة في كيفية الإقدام على مثل هذا العمل، إبان هذه المشكلات المعقدة، إلا أنها لا تستطيع الذهاب إلى الجنرال فون والنستين مقدمة إليه قلبها عاريا من التمويه، نعم إنها طالعت كثيرا من الروايات العصرية، معجبة ببطلات أقدمن إقداما غريبا دون حياء، ولا وجل في مواقف كموقفها الحالي.. إلا أنها لم تشعر في نفسها رغبة، تدفعها إلى الإقدام المطلوب، حتى ولو لم يحدث شيء يجبرها على الإذعان لمشيئة الجنرال، فليس فيها دافع يجعلها أن تسلك مسلكا، لا يخلو من عار عليها وفضيحة.. كلا إنها لا تذل نفسها، وليس في العمل الذي تنويه من عار أو فضيحة، فقد جال في خاطرها أنه إنما ترغب فيه، إتماما لأسمى رغباتها، ولتحقيق حلمها الذهبي." (٢٥)

"وكذلك سرحت عواطفها، فكان المنطق خادما مشتهاها، وكانت الفلسفة موافقة رغباتها، على أن الجنرال اليوم أصبح يكرهها كرها، لا مزيد عليه، فقد استخفت به امرأة وناله منها الرفض والامتهان، فهو الآن إذا سنحت له فرصة، فوق ينزل بها أشد العقوبات، وربما أفظعها وأقساها، إنه يحاول أن ينتصر عليها ويذلها لتكون غنيمة نصره، كما ذكره الطبيب الألماني في المستشفى، غنيمة في تصوره – أي تصور الجنرال– إنما في عينها، فلا فرق إذا كانت في يده آلة للتضحية أو الانتقام، فإنها إنما تنجز عملا من أسمى الأعمال وأنبلها، لا بل عملا مضاعف الفائدة، فإنها–علاوة على نيل مقصدها– تنقذ حياة أبيها من الموت."

"بعد أن سلمت جيهان نفسها تسليما، حسبته نصرا مبينا لها.... وهي تقاسي من أعمق حقائق الحياة سرا، وأشدها ألما، وأقبحها عاقبة....أحبت جيهان الجنرال فون والنستين حبا صادقا شديدا عظيما إلى حين، ولكنها ألبست حبها لباسا من البغض والحقد والازدراء، أحست بعوامل الحب وما يشبهها، وأدركت بعدئذ أنها ضحت في لحظة شوقا حفظته سنين، فكانت هذه هي الحقيقة الهائلة الجارحة، التي ألبستها العار والإثم."(٢٦)

"قرأتها مرة أخرى، وهي تردد: فواحدة! واحدة! وما عسى أن يكون عدل الرجل نحو المرأة ؟ أ سمح له النبي بأربع زوجات، ثم يسأله أن يكون عادلا، إن هذا تنازل منه وتلطف، زه! زه!"(٢٧)

قررت جيهان — في نهاية الأمر – أن تستسلم للجنرال؛ لإنقاذ حياة والدها، مقابل فقدان شرفها.. ولكن عندما انتحر والدها، أدركت أن الجنرال خدعها، ورغم ذلك أظهرت هدوءًا وثباتًا غير متوقعين، ثم قتلت الجنرال فون والنستين. في رواية "خارج الحريم"، وصف لنا الكاتب أمين الريحاني صورة امرأة شجاعة، تسعى للحرية، وتجرؤ على الحب والكراهية.

٣– الإرادة والمثابرة في شخصية جيهان

إن جيهان هي شخصية عزيزة الإرادة، وتثابر علي الإيمان رغم تلقيها التعليم الغربي. ''ولكن عقل جيهان عقل غربي التهذيب، عقل تسرعت فيه الثورة والتمرد، غربي المعرفة، له صلاة خاصة تلتها في ذلك الصباح، عندما وقفت في الرواق، ووجهها مرفوع نحو الشمس.''(٢٨) من اللقطة السابقة، يمكن لنا أن نعرف أن أفكار جيهان تثابر على التعليم والافكار الغربية، ولكنها لم تتخلى عن دينها وثقافتها الوطنية.

"هكذا كانت جيهان غريبة الأطوار، متباينة الميول والآمال، ولكنها ذات صلاح وفطنة، وقد كان الدين متأصِّلا في قلبها، ولكنها كانت بعيدة عن التظاهر بالتقوى، ولا تكترث بالخرافات والترهات الدينية. ولقد كانت وهي تسعى لإتمام مقاصدها الجليلة متأنية متسرعة معا، ثابتة حينا، وحينا مترددة،

أدبية بارعة، تقية متعقلة، طامحة شاردة، ناشدة حب وإيمان وسيادة، كأن قلبها دائرة للأدب والأدباء، وعقلها ديوان للسياسة والسياسيين، ونفسها جامع للعصريين من المؤمنين."([٢٩])

المبحث الثاني– الوعي بالمرأة في رواية "خارج الحريم"

الحريم في الواقع هو المكان أو، بالأحرى، المفهوم، الحالة الوجودية، المحور الذي تدور حوله القصة بأكملها. جيهان هي "سيدة تركية من الحريم "نشأت داخل "حدوده "و، "تأسف للعزلة"، "العبودية والسراري "فيه، تقرر كسر "أغلال الحريم "وتصبح "قائدة حركة تحرير الحريم ."على النقيض من ذلك، فإن رجال عائلتها —الذين يتمتعون بـ "رفاهيات وملذات حياة الحريم — "يشعرون بالقلق من أن "روحها الأوروبية "قد تفسد "الحريم التركي."([٣٠])

١– رضا باشا

الأب الذي يهتم بتعليم أبنائه، ولكنه لا يستطيع التخلص من التفكير التقليدي.

وصف أمين الريحاني رضا باشا بهذه الطريقة: "رضا باشا شيخ في الخامسة والسبعين من العمر، رديني القامة، مستويها، طلق المحيا، مهاب الطلعة، كبير الهمة، عصبي الزاج، حاد الذهن، سريع الحركة والكلام، وفي وجهه الأشعث المستطيل نضارة تنفي حجة السن عليه، عيناه العسليتان الحادتان، ترسلان بشاشة تحت حاجبين عريضين، هما دوما على شكل الانزواء غضبا وغيظا، أما شعره المفروق في منتصف الرأس، لحيته التي كان لا ينفك يعدل نموها لما تنطق عن روح كيسة فيه، ونفس لم تزل خضراء، فهو من أولئك الشرقيين السمر البشرة، الأقوياء الأجسام، الشديدي البأس، الشبيهة رجولتهم بميزة الآلهة، خصت بالخلود فلا السنون تقوى عليها، لا التنعم في دار الحريم يؤثر فيها"([٣١])..لقد وصف هذا النص صورة لرجل مسن مهيب. إلا أن المؤلف راح يستدرك تلك السمات الجامدة، فيقول: "على أنه من رجال الدور القديم، فقد كان يقدر الأشياء الحديثة أو الأوروبية حق قدرها، لا نريد بهذا أنه كان مجردا من التعصب، كلا، فالحقيقة أنه كان يرغب بالروح العصرية ، وهي في بيت غير لا في بيته، تركي عصري تارة، وتارة قديم، صلب العود، متشبث الرأي، غير متساهل في إدارة أموره الخاصة والعامة، وقد كان حرا شديد اللهجة، يخدع أحيانا بصراحة قوله أكثر من التركي، المعروف بتمويهه ودهائه."([٣٢])

من هذا الوصف يمكننا أن نجزم بأن أبا جيهان هو شخص، يجمع بين الفكر الحديث والمفاهيم التقليدية؛ فقد كان يسمح لزوجته أن تستقبل الزائرين من الرجال في بيته حاسرة القناع. وكان يهتم بتعليم جيهان وتهذيبها، ولم يدخر عناء ولا ضنّ بمال في سبيل تهذيب جيهان، وتربيتها على الأسلوب الأوروبي العصري.

إلا أن رضا باشا كان، كأترابه الأتراك، قصير النظر، ضعيف الرأي من هذا القبيل، لأن كان يتحكم عليه أن تدرك نتائج هذا التهذيب، فقد كان يروقه منظر البيانو في منزله، ولكنه كان يستثقل صوته أو يخرج منه.. وكان ينظر إلى مكتبة ابنته، كما ينظر إلى مجموعة سلاحه.. كلتاهما للفرجة لا للاستعمال. وما كاد يفاخر بنبوغها الفطري، حتى استعاذ بالله عندما رأى اسمها في الجرائد؛ إذ استغرب ذلك أيما استغراب، ونفر منه أيما نفور كأنه شاهدها في السوق كاشفة الحجاب.

لذا بدأ يقيّد حريتها، لنقرأ هذه القائمة من الأوامر، من رضا باشا إلى ابنته: "يجب عليك من الآن فصاعدا ألا تخرجي حاسرة القناع أو دون حاجب من الحجاب، وألا تفرطي بالكلام في الأماكن العمومية، وألا تتدخلي في السياسة، وألا تنشري من مقالاتك في الجرائد. وعدا هذا كله، يجب عليك أن تمتنعي عن مقابلة الجنرال فون والنستين، وعن مراسلته." (٣٣)

كان هذا الكلام يمثل وعيًا مجتمعيًا سائدا في ذلك الوقت، حيث يفترض بالنساء أن تكون تصرفاتهن محدودة ومقيدة، وكما أنه لا ينبغي لهن المشاركة في السياسة أو التعبير عن آرائهن في الأماكن العامة، ولا يحق لهن اختيار الزواج بحرية... كما الوضع في فكر رضا باشا، يجب أن تطيع البنت كلام أبيها كما يدفع من قوله التالي: "تطلعي إليَّ الآن، قولي لي: أبين البنات، حتى القرويات منهن، من تخاطب أباها كما خاطبتني ليلة أمس؟ ألا ينتظر منك، وأنت السيدة المهذبة ذات المواهب السامية أن ترعى البر، وأن تقيمي على الطاعة البنوية، التي هي من مزايا عنصرنا الخاصة، من أقدس تقاليدنا؟ ماذا يقولون عنك، الذين يقرأون كتاباتك في الجرائد، الذين يسمعون خطاباتك، والذين ينظرون إليك كحاملة نبراس النور والمعرفة، إذا أخبرتهم اليوم أن جيهان تعصي أوامر أبيها، وتستخف بكلامه، وتقاوم رغائبه، بل هي لا تحترمه ولا تحبه، حتى إنها لا توجد من نفسها رادعا عن أن تسمعه المهين من الكلام. وقال لجيهان بالنسبة إلى العلاقة التي بينها وبين الجنرال : "إن ما تذيعه الصحافة عنك وعنه عار لاسمي (٣٤)

٢- الجنرال الألماني فون والنستين

اجتمع الجنرال الألماني بجيهان، للمرة الأولى في مستشفى الجنود، فجاء - على إثرها- بعد ثلاثة أيام، يزور أباها زيارة رسمية ولكن جيهان لم تحضر لاستقباله، ثم أعاد الزيارة حتى يتمكن من رؤيتها. أما جيهان فقد حلت من نفسه المحل الأول بسبب جمالها.

"قال هذا الجنرال في سره — في سره كان يردد اسمها، ويتمثل جمالها: جيهان! ساحرة تركية، ذات قد أهيف، ومحيا فائق في الحسن، ولحظات تخترق الجماد، ولفتات تشف عن غنج بعيد المقاصد غريبها، في ناظريها نور العطف.. نور المعرفة، في أنفها الإباء والشمم، في ثنايا فمها اللطيفة إيناس كثير الأسرار، آدابها إفرنسية، ولكن جمالها الذهبي المهيب شبيه بالجمال الألماني، وفي كلا الأمرين فتنة ،جردت الجنرال

– لأول نظرة – من كل قواه؛ قوى الهجوم، وقوى الدفاع، فحدث نفسه قائلا : ولم لا أرغب بامرأة مسلمة، هي أوروبية التربية والذوق والجمال؟"(٣٥)

لذلك كان الجنرال – منذ البداية – يطمح في جمالها ويرغب بها، سواء أكانت توافق عليه أم لا.

هنا نستعرض سياقا، يكشف فيه الجنرال عن خبيثة نفسي! عندما تأتي إليه جيهان بسبب شؤون شكرى بك ولانقذ حياة أبيها، كان يرغب في أن يستغل هذه الفرصة ليجعلها زوجته أو خليلته. وبعد رفض له جيهان، قال لنفسه: "أجل، أستطيع أن أقضي على حياة تركي متغطرس، ولكن من أين لي أن أجبره على الإذعان لمشيئتي؟

تكشف السطور السابقة بوضوح بين أن الجنرال ينظر إلى جيهان كشيء، وليس كشخص مستقل، حيث إنه أحب جمالها دون روحها. ومن ثمو كان يظن في أعماق عقيدته أن المرأة ملحق للرجال بغض النظر عن مكانتها الرفيعة.

٣– وعي المجتمع بالمرأة :

كانت رئيس الممرضات في المستشفى تقول لجيهان:" أنا لا أشك في أنك سوف تعتنقين مذهب الجنرال إذا اقترنت به، فاسمحي لي أن أهنئك يا عزيزتي جيهان."سألتها جيهان : ما قولك إذا اكتمل الحظ، فاعتنق الجنرال مذهبها؟ وأجابت أنه مستحيل، فإن فكره مختلف عن فكر جيهان(٣٦). كان من الواضح أن جيهان تثابر على إيمانها، ومظهرة قوة وعيها كامرأة، بينما رأت رئيسة الممرضات أن المرأة يجب أن تكون طوع إيمان الرجل، وكان هذا رأي معظم الناس في ذلك الوقت.

من ذلك المشهد، يمكننا أن نستنتج أنه في تلك الزمنية من المجتمع، من المشاهد الكاشفة عن تناقضات المعتقدات: لم تكن المرأة موضوع ترحيب بمشاركتها في السياسة.

بعد اعتقال والدها، سعت جيهان بكل السبل لإنقاذه. ومع ذلك، فإن الناس كانوا يتناقشون بشكل متفاوت حول هذا الموضوع.. كما قيل من قبل الخصي سليم :"كانوا يا مولاتي جماعات، بين كهول وأحداث، شيوخ ومعلمين، أفندية وحمالين ومتاجرين، يتهامسون ويضجون مشيرين بأيديهم، وإياها باسطين، مستغيثين بالله المعين. ولقد سمعت أحدهم يقول: وما يزيد في الهول والفداحة أنه سيتزوج بالابنة، بعد أن يعدم أباها وابن عمها، وقال آخر: إن هذا لما يأباه الإسلام، ومما لا نتحمله، فإنه والابنة سيذبحان كالخنازير.. وقال شيخ مسن: قسما بالله، والمصطفى، لن نسمح لألماني مهما كان نافذ الرأي، عظيم الشأن أن يدنس سلالة الإسلام، وقد أجابه صديق له معلم »خوجه «حدث السن: كلا، إن هذا لمن المستحيل، ويجب أن تنذر ابنة رضا باشا؛ فإنها إذا أذعنت لإرادة كافر، فسوف تجر من بيته، وتسحب من حضنه الدنس، ويعمل بها السيف" (٣٧).

إن هذه الفئات المتباينة من الناس – أنذاك – تكشف لنا بوضوح عن هذه التناقضات والتوترات بين مختلف المعتقدات الدينية.

الفصل الثالث – الترتيب الفني لصورة المرأة في روية "خارج الحريم"

– المستوى اللغوي

كتب على الشوك في مقاله: " رغم أن لغة الرواية لا تمت إلى عصرنا، فإنها تمثل مرحلة انتقالية بين النثر الكلاسيكي القديم ولغتنا العصرية."(٣٨)

"إما تضحية وإما إنتقاما"، وهذه الجملة تظهر في سياقات مختلفة، على النحو التالي:

* عندما تتحدث جيهان مع أبيها عن موضوع بينها وبين الجنرال الألماني، ويحدث خلاف بينهما؛إذ قالت جيهان : "خُيِّل لي في هذه الغرفة شبح امراة كأنها والدتي.. لقد شاهدت الشبح جليا، ثم ابتدأ يتضاعف عدده، وتتكاثر الأشباح كلما حدقت بها بصري، حتى رأيت أمامي مئات من النساء، مرتديات أردية سوداء، راسفات في السلاسل والقيود، وعيون الكل منصوبة نحوي ملؤها استرحام؛ كأنهن يرغبن بمخاطبتي بإبلاغي حقيقة هائلة، بالتماس عمل ذي شأن، وقد أرسلن إلى مسمعي هذ الكلمات »إما تضحية وإما انتقاما« " (٣٩)

* "اعلم أن ذا الصوت إنما هو صوت الأم، أم عنصرنا، أم ألوف من الأجيال، أم ماضينا، هو صوت يدعوني إلى المفاداة في سبيل أم مستقبلنا، هو عمل خطير، لا بد أن تتمه إحدى نسائنا، إن لم يكن أنا فغيري،» إما تضحية وإما انتقاما«"(٤٠)

* ''لكنها عادت إلى أحلامها طامحة مستبسلة، فسألت قائلة: يكون ذلك انتقاما يا ترى أم تضحية؟ أيجب عليها أن تبيع شرفها في سبيل الحرية، التي تطمح إليها؟"(٤١) وهي في سريرها، بين يقظى ونائمة، ظلت إلى حين أسيرة هواجسها، "فتقول مرة أخرى : ولد من بروسياني، من هذا الألماني: إما تضحية وإما انتقاما!"(٤٢)

* في نهاية الرواية ، تستدرج جيهان الجنرال قون والنستين إلى بيتها)بيت أبيها .(قدمت إليه القهوة . وبعد إغماء الجنرال، ثم تراجعت خطوة مترددة، مذعورة، ولكنها نشبت للحال كالنمرة صارخة، باسم الله، إما تضحية وإما انتقام ا؟"(٤٣)، ثم تطعنه بسيف بعد أن تخدعه برواية قصة عن السيف، كأثر قديم، وصل إلى أبيها عن طريق أحد أجداده، الذي قاتل فيه على أبواب فيينا.

وفي السياق الأخير، لم تترك جيهان مكانا للتساؤل، بل إنها قامت بتحقيق الانتقام بجرأة، ورغم أنها ضحت بكثير.. إلا أنه كما قالت جيهان في الرواية "فرفعت صوتها قائلة: كلا، لا تضحية.. لا انتقاما، بل سعيا في سبيل سعادتي، طاعة لأمر حلمي بالحرية"(٤٤)

* كلمة " الوحش الأشقر في سياقات مختلفة:

إن نيتشه في كتابه »هكذا قال زاراتوسترا «يرمز عن رجل الستقبل ب"الوحش الأشقر".. أما هذه الكلمة "الوحش الأشقر" فقد ظهرت أيضا مرات عديدة في الرواية؛

مثل: كانت تعتقد أنه من المستخيل أن تحقق آمالها وحريتها، برجل من شعبها، "ثم صاحت قائلة: يا الله من الوحش الأشقر!" (٤٥)

* بعد أن أذعنت جيهان للجنرال؛ من أجل إنقاذ والدها، شعرت بألم شديد وذلة كبيرة. "ولهذا فتحت الشباك، ووقفت في رواقه، ملتفة بعباءتها، وهناك أيضا وراء مياه القرن الذهبي الهادئة، وراء سروات جامع أيوب المتعالية، وراء مآذن الأستانة وقببها، بدا لها ذلك النعيم المريب، وذلك الوحش الأشقر واقفا في الباب. فصرخت ثانية: يا لله !ماذا فعلت؟ لماذا لم أذهب مسلحة؟ لماذا لم أنحر الوحش الضاري؟ لماذا؟"(٤٦)

وفي هذا السياق، كانت جيهان تقصد الجنرال فون والنستين بكلمة الوحش الأشقر.

''لكنها ما لبثت أن ذعرت ثانية إذ تراءى لها الوحش الأشقر.''....''هذا ما يقوله أول الأنبياء وآخرهم، الواحد منهم يردد صدى الأول، أَو يكون يا ترى الصوت أبا الحرية المولودة من امرأة؟ يا لله ! أجاء هذا الوحش الأشقر من الشمال قضاء وقدرا ليذلَّني، ويجعلني أما؟ أتتولد الأجنحة الذهبية من جروح دامية في نفسي؟" (٤٧)

* في نهاية الرواية، بعد أن قتلت جيهان الجنرال بسيف أبيها، تظهر هذه الكلمة عدة مرات، كان أولها:

"فكان أمامها بوابة النعيم، ولكنها خالية من الوحش الأشقر، فقد ذُبح ذلك الوحش، مات إلى الأبد،"(٤٨) هنا يديل ذلك بوضوح على أن جيهان قتلت الجنرال ولم بعد هناك وحش في عالمها.

في هذا المشهد: "أبتاه اصفح عن ابنتك، بدرم إن الوحش الأشقر لم يحيا ليفاخر بانتصاره، ابتاه لقد ذبحته بسيفك ـــبدرم ذبحت الوحش الأشقر ـــالوحش الأشقر قد مات."(٤٩) هذا ما قالته جيهان لوالدها، فيما يشبه محاولة الاعتذار له عما فعلته، فإنها في هذا الوقت، قد أتمت الانتقام وحققت النصر.

* جملة "لا تصحب المرأة إلا والسوط معها":

عندما تستسلم جيهان للجنرال أخيرا، وجدت أن مطالعة نيتشه جاءتها بعكس ما أملت، ولم تؤثر فيها، كما أثرت أول مرة طالعت ذلك الكتاب. لقد ظهرت تلك الجملة: "لا تصحب المرأة إلا والسوط معها." ظهرت ثلاث مرات، لقد تعبت جيهان من نيشته، بل خاب أملها به.

إن هذه الجملة – في دلالتها العميقة – كانت تعبر عن وجهة نظر تقليدية قديمة، تعبر عن رأي بأن المرأة بحاجة إلى السوط أو القيود، لكي يتمكن الرجل من التحكم فيها؛ أو ليظلا معًا.. وهذا الفكر لا يمثل الحرية التي تسعى إلها على الإطلاق، ومن الممكن أن تكون هذه العبارة تعبيرًا عن السيطرة، أو التحكم في المرأة بطريقة سلبية، أو تعبيرًا عن رؤية قديمة ومتجذرة في التفكير الذكوري السيطري.

ومن المهم ملاحظة أن هذا التفكير غير متفق عليه في المجتمعات الحديثة، ويتعارض – تمام – مع قيم المساواة والاحترام المتبادل بين الجنسين.

– المستوى الفني

١– وصفت الرواية تصادم الثقافات الشرقية والغربية لأكثر من مرة.

"كانت جيهان سليمة الطوية، مخلصة فيما تقول وتفعل.. كانت فوق ذلك ذات حنكة عجيبة، كثيرة المعرفة بأساليب الاجتماع والسياسة، جديرة بأن تكون زعيمة من زعيمات أميركا، المطالبات بالحقوق النسائية، أو نبيلة من نبيلات لندره، أو صاحبة صالون في باريس، ولكنها تركية الولد.. قد قضي عليها أن تقيم في وسطٍ تقاليد قديمة قاسية، ناهيك بما ورثته عن الأجداد، مما كان يحول دون أمياها العصرية، ويزعزع محاولات تشرب التهذيب الأجنبي، وأنه طالما تجاذبت هذه الأضداد نفسها، فأحدثت فيها حيرة الانتقاء والتفضيل، بل طالما قاست أشد العذابات الروحية العقلية، وهي تسعى في التوفيق بين عناصر متباينة متضاربة، ولم يكن لامرأة تركية، بل لامرئ شرقي، فيما مضى من الزمان، أن يوفّق في مثل هذا السير."(٥٠)

٢– وصف البيئة، في الرواية، يلعب دورًا في تجسيد نفسيات الشخصيات:

ظهر في الرواية عديد من الوصفات للبيئة، التي تعكس بعوالم الداخلية للشخصيات. كما كتب الكاتب السوري فيصل خرتش :"يبدأ أمين الريحاني، هذا الفيلسوف، روايته »خارج الحريم«، طبعة جديدة صادرة عن اتحاد الكتاب في سوريا، بوصف الطبيعة والجبل، من خلال سيرة حياته؛ إذ كان للوادي طعمه الخاص.. إنه يطوف به، يتأمل ويشاهد ويصف صخوره وأشجاره، يشم عبيره، ويصف الطير والشجر والكهف، وما يخالج النفس من صور ومشاعر، يرتقي بها إلى حالات من التوحّد مع الطبيعة"(٥١)

"لكنها ما أطلت من النافذة إلا ودخلت في يقظة فجائية، إذ شاهدت الشهد

ذاته، وقد استحال جمالا مهيبا، فقد كانت قبب جامع أيوب البيضاء تشع بالشمس، والسرو يتمايل بخطرات النسيم الفجرية، بعد أن انقشع الظلام عن زهوه الطبيعي، والقوارب تبعث على تسريح الطرف، انشراح الصدر؛ والقرن الذهبي اللازوردي تحجبه التموجات الفضية الشفافة، الضاربة فيها الخيوط الذهبية، والعصافير تنتقل من جذع إلى آخر في الجنينة، مزقزقة مغردة تداعب بعضها بعضا،

وصوت المؤذن، وهو يدعو المؤمنين إلى الصلاة، يلبس مظاهر الابتهاج خشوعا، وهذا ما سلب النعاس من عيني جيهان ."(٥٢)

هذا الوصف الرائع الدقيق المتأني الجميل للمناظر الطبيعية، كل تفاصيل، يبرز مشاعرها السعيدة وتوقعاتها للمستقبل، في تلك اللحظة، كانت جيهان – في ذلك الوقت – قد عادت إلى بيت أبيها من قصر زوجها السابق، وكانت تتطلع إلى تغيير قيود الحريم، والسعي نحو الحرية.

٣– التركيز على الوصف النفسي لشخصيات الأبطال بشكل كبير:

هذه الرواية لديها سمة مميزة أخرى، وهي التركيز المكثف على الوصف النفسي لشخصيات الأبطال، فعندما رفضت جيهان الزواج من الجنرال فون والنستين، " وهو يسائل نفسه قائلا : أَيمكن أن تكون يا ترى عظمتي خارجية – عرضية وقتية – بنت ساعتها؟ أَو ليس فيها شيء طبيعي، دائم قائم بنفسه، يدور على محور؟ !كلها سطحية؟ أَو ليست هي جزءا من العظمة الآنية؟ أو هل هي جزء من نفسي المتزعزعة؟ ليست قوة نفسية فردية، بل هي قوة الخداع في السيادة، في اكتساب عبودية الآخرين فقط، أ ليس فيها من السيادة الروحية ما يستميل إلى القلوب البشرية؟

أَو ليس لدي شيء من العظمة الحقيقية أو السيادة الروحية؟!"

في هذه القطعة من الوصف النفسي، عبر الجنرال عن استيائه وغضبه، من خلال سلسلة من الأسئلة العكسية، ثم يقدم بنفسه الإجابة.

"أجل، أستطيع أن أقضي على حياة تركي متغطرس، ولكن من أين لي أن أجبره على الإذعان لمشيئتي؟ هو ذا الباشا العجوز قد أهانني في بيته، وذاك البك الأحمق جاء يخطف حياتي في بيتي.. الآن قد رفضت هذه المرأة الشرف الذي أطرحه عليها، وتهينني فوق ذلك، وتنكر عليَّ شرف النفس والأخلاق، إن هذا في الحقيقة لكثير على الجنرال فون والنستين احتماله، وستحاسب جيهان على سوء أدبها وتمردها.. إنها لن تكون زوجة ولا محظية؟ المرأة هي هي أينما كانت، فضلا عن أن هذه الولاعة التركية لأردأ طبعا من الفرنسوية، أو لعلها يا ترى تقاوم قوة وحشية فيه !إذا كان هذا فلتستعد للنقمة، فإنه لن يمهلها من أن تدمي أصابعها ندما، لقد أقسم أنها إذا أبت أن تكون زوجته أو محظيته فستكون عبدة رقة لشهواته ولو يوما واحدا، نعم إنها "خارج الحريم"، ولكنها ليست خارج العبودية التي ستحقق رغبته بها، أجل سيؤدبها، سيمتلكها سيذلها، فقد أصبحت الآن في قبضة يده، تحت رحمته، وسوف تعود إليه، لا يزال أبوها سجينا حيٍا، فعليه إذا أن يرجئ محاكمته إلى أمدٍ قصير، إلى أن ينال من جيهان مرامه."(٥٣)

عندما تستسلم جيهان للجنرال ، فكرت جيهان : "ما عسى أن يقول والدي إذا عرف بأمري؟ يا لله !كيف أستطيع مقابلته وجها لوجه؟ ماذا أقول له، أأخادعه؟ أأكذب عليه؟ كلا، كلا، سأصدقه الخبر، سأنبئه الحقيقة بتمامها، ولكن أية حقيقة؟ حقيقة أنها دفعت من شرفها ثمن حريته؟ أنها قبلت يد الألماني الدنسة آخر سني حياته القليلة(٥٤)؟ هنا تعكس النصوص مقدار الألم والذل والتضارب الذي يحدث في داخلها، ويعصف بكيانها كله.

الهوامش

١– أنور الخطيب، قبس من سيرة العضو المراسل أمين الريحاني ١٨٧٦– ١٩٤٠، حلم نحو موالد أمة. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٥م ،

٤– أمين الريحاني: رواية "خارج الحريم"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٦/٨ /٢٠١٢، ص٨

٥– أمين الريحاني، رواية "خارج الحريم"، ص٣٨

٦– أمين الريحاني، رواية "خارج الحريم"، ص١٠

٧– علي الشوك، »خارج الحريم «رواية طليعية، كتبها أمين الريحاني بالانكليزية، دار الحياة، عام ٢٠١١

٨– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧

٩– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٨

١٠– أمين الريحاني: خارج الحريم ص٩

١١– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٩

١٢– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٧

١٣– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٧

١٤– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٠ .

١٥– قبيلات، نزار مسند، المرأة المتحررة والمرأة المقيدة في الرواية العربية المعاصرة، رواية س، للكاتبة كفي الزغبي أنموذجا، المصدر: دراسات – الجامعة الأردنية – العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٧

١٦– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٤٩

١٧– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٠

١٨– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٢

١٩– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣١

٢٠– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٤٧

٢١– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٤٨

٢٢– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٢

٢٣– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٦

٢٤– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٧

٢٥– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٨

٢٦– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٢

٢٧– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٢

٢٩– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٥

٣٠– أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٧

٣١- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٩

٣٢- أمين الريحاني: خارج الحريم ص١٠-١١

٣٤- Francesco Medici, Juhan's Jihad and the Blond Beast –Ameen 'Rihani between Islamic Doctrine and Nietzschean Perspective, Bibliography on Rihani between Islam & Nietzsche; Axes in the Philosophy of AMEEN AL RIHANI–NOTRE DAME UNIVERSITY, Lebanon, ٢٠١٧.page ٣٦٧.

٣٥- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٣

٣٦- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٣

٣٧- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١١

٣٨- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٢٠

٣٩- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٦

٤٢- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٥٢

٤٤- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٢

٤٥- علي الشوك، »خارج الحريم «رواية طليعية، كتبها أمين الريحاني بالانكليزية، دار الحياة، عام ٢٠١١

٤٦- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٢١

٤٧-أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٢٢

٤٨-أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٩

٤٩- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٩

٥٠-أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٨٥

٥١-أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٨

٥٢- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٣٨

٥٣- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٦

٥٤- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٨

٥٥- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٨٥

٥٦- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٨٥

٥٧- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص١٠

٥٨- فيصل خرتش، »خارج الحريم«.. تأملات ومآلات ، رواية لأمين الريحاني عن تحرير المرأة، عام ٢٠١٧

٥٩- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٩

٦٠- أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٦٩

٦١-أمين الريحاني: خارج الحريم، ص٧٧

المصادر والمراجع:

– المصادر

١– أمين الريحاني: رواية "خارج الحريم"، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٦/٨ /٢٠١٢

المراجع العربية:

أنور الخطيب: قبس من سيرة العضو المراسل أمين الريحاني ١٨٧٦– ١٩٤٠، حلم نحو موالد أمة. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠١٥م .

٢– حسام الدين فياض، حول مفهوم النقد الثقافي: محاولة للتأصيل، منصة قنّاص الثقافية، ٢٠٢٣م.

٣– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، الطبعة الثالثة، ص من ٨٣–٨٤

٤– علي الشوك، »خارج الحريم «رواية طليعية، كتبها أمين الريحاني بالانكليزية، دار الحياة، عام ٢٠١١

٥– فيصل خرتش، »خارج الحريم«.. تأملات ومآلات ، رواية لأمين الريحاني عن تحرير المرأة، عام ٢٠١٧

٦– قبيلات، نزار مسند، المرأة المتحررة والمرأة المقيدة في الرواية العربية المعاصرة، رواية س، للكاتبة كفي الزغبي أنموذجا، المصدر: دراسات –الجامعة الأردنية –العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠١٧

المراجع الانجليزية:

٦- Francesco Medici, Juhan's Jihad and the Blond Beast -Ameen Rihani between Islamic Doctrine and Nietzschean Perspective, Bibliography on Rihani between Islam & Nietzsche; Axes in the Philosophy of AMEEN AL RIHANI-NOTRE DAME UNIVERSITY, Lebanon, ٢٠١٧.